معاملة المعلم للتلميذ

لا يزال المعلم يحاول أن يوقع فى اعتقاد التلميذ أنه عليم بكل شيء ، وأن التلميذ جاهل بكل شيء ، وهذا مع بطلانه سبيل إلى مضار ، ليس فيه أوخم من عواقبها ، ولا أسوأ من نتائجها ، فأنه يمحو ثقة التلميذ بنفسه ويحدث فيه احتقاراً لعقله ، فيخجل من نفسه ، كالمجرم الذى ارتكبه ، إنما لا يفتر ، فيقف أمام معلمه خاشع البصر ، مكبور النفس ، وهذه أجلى مظاهر الذل والهوان ، فتلاميذ هذا شأنهم من الذلة والانكسار ، لا ينتظر أن يكون منهم فى المستقبل رجال تجيش بالحرية صدورهم . ذلك فضلا عما تسببه هذه المعاملة السيئة من انطفاء ما يشتعل بذهن التلميذ من لهيب الفكر الذى يجعله الله سراجا للناس يهتدون به فى جميع شئونهم ، والذى لم يزل منذ نشأة العالم الدليل الأوضح إلى مكامن العلم ومسالك الحق ، وأضف إلى ذلك أن التلميذ الذى هذه حاليه تضرب على منافذ ذهنه حجب من الخوف والبلبلة والانقباض ، فلا تستطيع عين ذهنه نفاذا إلى أعماق ما فرغشره المعلم على التلاميذ من المعلومات ، والمعلم يعلم كيف أن الهيبة والانقباض يكسفان شعاع الفكر ، ولا بد أن يكون قد مر عليه وقت جرب فيه ذلك بنفسه ، ثم يعلم كذلك أنه لا شيء أعون على الفهم من ارتياح النفس وانشراح الصدر إلى ما يلقى عليه ، وإنى لا عجب كيف يقدم المعلم على تعليم تلاميذه لم يطلع على أذهانهم فيعلم استعدادها وفوتها وما يصلح لها وما تميل نحوه وتنزع إليه ، وإنما مثله فى ذلك مثل من يأتيه أحد الناس ليستعين به على قضاء حاجات فى نفسه فلا يتركه يشرح له ما فى صدره ، بل يبادره بقوله : اسكت فإنى أعلم بك منك ، وأفهم منك إلى حاجتك ، ثم يأخذ يضع له كل ما يناقض ما آربه وينافى مطالبه ، وهذا من الضحكات المبكيات . . . . . يجلس التلاميذ سكوتا كأن على رءوسهم الطير ، والمعلم يصب عليهم من أقواله وابلا مدرارا ، فلا منه أن هذه الكلمات ستصيب من عقولهم مواقع الخصب من الرياض العطاش ، ولم يدر أنها تمر بتلك الأذهان مر الهواء أو السحاب ، يرى المعلم الطفل الصغير لا يبرح يسأله أهله عن الأشياء وأوصافها وفوائدها ، فيعلم عنها ما يعلم بناء على هذه الأسئلة ، ثم يرى أن السؤال لم يزل السبب الطبعى إلى التعلم ، حتى إذا تشوف الإنسان إلى إحدى المجهولات ، راح يسأل عنها كل من لاقاه ، ثم لا يقر حتى يعلم عنها ما يشفى غليل تشوقه ، فباعث الإنسان على التعلم هو باعث نفسانى . أقول كل ذلك يراه المعلم ثم ، لا يخطر بذهنه أن يحبس من أمطار أقواله المنصبة

على رءوس تلاميذه . ويجتهد أن يكون محركا لشوقهم وتطلعهم ومثيراً لأسئلتهم . حتى إذا فعل ذلك استفاد التلاميذ من أجوبته وأقواله . ما يستفيد السائل المشتاق بأسئلته . وهذه كما ذكرنا هى الطريقة الطبيعية للتعليم . ولا يمكن للمعلم إثارة أسئلة التلاميذ إلا إذا أخذ هو يسأل . والسؤال من أكبر وسائل الفائدة فى التعليم . فهو الذى يحرك التلميذ إلى البحث والتنقيب فيما يحصل لديه من المعلومات ليفرز ثمينها من غثها وصالحها من الفاسد . فتقوى فى التلميذ ملكة التمحيص ثم يصير نيرة تفكيره . فيعلم أن لذهنه قوة وفضلا . فتكبر فى عينه قيمة نفسه ويشعر أنه إلى أن يكون شريك المعلم وصديقه أكبر من أن يكون عبده ورفيقه . . . والثقة بالنفس إذا لم يمازجها الغرور من أمتن وسائل النجاح . فهى مبعث العزيمة ومثار الهمة ، وجناح ينهض بالنفس إذا قعد بها الملل والسأم . وهى كذلك سيف على أعناق الشك والهيبة والانقباض وهى رائد الذهن إلى منتجعات العلم ، وقائد النفس إلى غايات الفضل والعلاء . .

إن نظام التعليم يكون شعاره استعباد أذهان التلاميذ واسترقاق نفوسهم هو سم ناقع يستأصل من البلاد روح الحرية وإن تردد خيالها على ألسنة الجمهور ، كما يتردد خيال بعض الكلمات على لسان البيغاء . . وكم أناس تراهم يلهجون بلفظة الحرية ويتحمسون للوطن ويثورون عند ذكره فاذا تلطف الانسان فراقب أحدهم وهو يسير فى فلك معيشته ، ترى منه جبنا يدانى تحمسه . وصغارا ومهانة تأباها العبيد الأرقاء . فاذا ينفع ادعاء اللسان إذا كانت القلوب كاذبة . وماذا ينفع صياح الأفواه إذا كانت الأفئدة ملجمة خرساء . وخابت حرية أقفرت منها القلوب فعادت تتردد بين الألسنة والآذان ؟! . . . . ؟

عبد الله على سالم عمر
مدرس بالأسكندرية